مباشرة مثل الاستطلاع الجوي والالكتروني وبالاقمار الاصطناعية، وباستخدام أسلحة الحرب الالكترونية بالاعاقة على أجهزة الاتصالات والكشف الراداري وما شابه ذلك، مثلما حدث أثناء الحروب العربية ـ الاسرائيلية في العامين ١٩٦٧ و١٩٧٣، أو بالتهديد باستخدام القوة العسكرية، أو باستخدامها، فعلاً، مثلما كان الامر في لبنان العام ١٩٨٢.

ونظراً لاختلاف موقف دول الجوار الجغرافي للوطن العربي بالنسبة للصراع العربي ـ الاسرائيلي، فإنه لا بدّ من مراعاة احتمالات تدخل الدول المجاورة لصالح اسرائيل، خاصة وأن لكل دولة منها مواقفها التي ربطت بينها وبين اسرائيل في مرحلة من المراحل السابقة، لا في الماضي البعيد فقط، وإنما في الماضي القريب أيضاً. وبالرغم ممّا تبديه إيران من عداوة لاسرائيل، فإنها كانت لها علاقاتها باسرائيل أثناء الحرب العراقية ـ الايرانية. أمّا تركيا، فبالرغم من تقربها من الدول العربية والاسلامية، الاّ ان تصرفاتها نحو كل من سوريا والعراق تجعلها موضع شك كبير، خاصة وانها من الدول التي اعترفت باسرائيل مبكراً، وتعاونت معها على مستويات مختلفة. ويكفي ان مواقف هذه الدول تجعل من المناسب الاحتفاظ بقوة عربية خارج حساب التوازن العسكري مع اسرائيل كاحتياطي لمواجهة احتمال تدخلها ضد الدول العربية، أو استخدام أراضيها بواسطة قوات أجنبية بإذن منها على نحو ما هو حادث، فعلاً، بواسطة تركيا ضد العراق، وما كان يحدث في إيران واثيوبيا في مراحل سابقة.

يتميّز الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وبالتالي التوازن العسكري بين العرب واسرائيل، بأن الصراع لم يتوقف منذ بدأ، وإنْ اختلفت صوره ودرجات حدته. فالميزان العسكري، هنا، لا يتحدث عمّا يمكن ان يحدث، وإنما عمّا يحدث فعلاً. هكذا، فإن استمرار الصراع خاصة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين وفي جنوب لبنان يجعلنا نضع، في عين الاعتبار، قوات وأسلحة ومعدات ليس من المعتاد ان تحتسب عند احتساب التوازن العسكري بين أطراف صراع، مثل السكاكين المستخدمة لطعن المستوطنين اليهود، والسيارات المفخّخة التي تستخدم لتدمير الدوريات الاسرائيلية، بل وربما السيارات العادية حيث يستخدمها أفراد المقاومة ـ وبدون أية مفرقعات أو أسلحة ـ في قتل أفراد من الصهيونيين بصدمهم. الاّ ان هذا، أيضاً، غير متيسر أو ممكن حيث لا يمكن حصر مثل هذه الادوات، ولا حصر الافراد الذين يستخدمونها. كما أن المقاومة اللبنانية في الجنوب تستخدم وسائل مختلفة، ربما كان من أهمها قذائف الكاتيوشا التي تحدث آثاراً هامة، بالرغم من الاعلان، دائماً، عن عدم حدوث خسائر في الارواح. ويعتبر الصراع المسلّح الدائر في فلسطين ولبنان المستوى الثالث لادارة هذا النوع من الصراع وهو أعمال القتال المنفصلة، بينما تقوم القوات الاسرائيلية بالرد، أحياناً، بأعمال قتال محدودة، وأحياناً بالقيام بعمليات محدودة، بينما توقفت العمليات ذات النطاق الواسع، وهي المستوى الاول، منذ الغزو الاسرائيلي للبنان العام ١٩٨٢. وإذا كان من غير المعتاد دراسة الوسائل البدائية وأسلحة الدفاع الشخصي من البنادق والمسدسات والرشاشات في الميزان العسكري، الاّ ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي يعتبر من أواخر حروب التحرير الوطنية التي عادة ما تعتمد على الاسلحة الخفيفة في تحقيق أهدافها، والفيصل في ذلك ليس نوع السلاح، ولا حجم القوات، وإنما التأثير الذي تحدثه في الجانب الآخر.

العوامل الخاصة المؤثرة على التوازن

ان أية دراسة للتوازن العسكري بين العرب واسرائيل لا بد وان تضع في اعتبارها عوامل